أحداث لواء الأحساء

سنة ١٢٩٥هـ/ ١٨٧٨م

أ. د. خالد بن حمود السعدون
قسم التاريخ - كلية الآداب والعلوم الإنسانية - جامعة الشارقة

انتزع العثمانيون منطقة الأحساء والقطيف من الدولة السعودية الثانية سنة ١٢٨٨هـ/ ١٨٧١م، كما هو معروف، بعد الخلاف الذي حدث بين الإمام عبدالله الفيصل وأخيه سعود(١). وجعلت السلطات العثمانية هذه المنطقة وحدة إدارية بدرجة لواء (سنجق)، سمتها "سنجق نجد"، وهي تسمية تعكس أملاً لم يتحقق على أرض الواقع، فدرج كثير على تسميته "سنجق الأحساء" لمطابقتها واقع الحال. وقد قسم ذلك اللواء حسب النظام الإداري العثماني إلى أربعة أقضية هي: القطيف، والمبرز، وقطر، فضلاً عن قضاء المركز(٢). وقد ظل آل سعود منذئذ حريصين على استعادة

---

(١) العثيمين، عبدالله الصالح، تاريخ المملكة العربية السعودية، ج١، الرياض: (د. ن.)، ١٤١٩هـ، ص٢٩٤-٢٩٥.

(٢) القريني، محمد بن موسى، الإدارة العثمانية في متصرفية الأحساء ١٢٨٨-١٣٣١هـ/ ١٨٧١-١٩١٣م، الرياض: دارة الملك عبدالعزيز، ١٤٢٦هـ، ص١٣٢.

منطقة الأحساء، وحاولوا عدة محاولات في هذا السبيل نالت حقها من البحث والدراسة(٣).

ولكن محاولة جرت في هذا السياق سنة ١٢٩٥هـ/ ١٨٧٨م ذكرتها مصادر بريطانية كثيرة، وأغفلتها المصادر السعودية المعاصرة المتاحة، فصاحب "عقد الدرر" يقول: "ثم دخلت السنة الخامسة والتسعون بعد المائتين والألف، ولم يقع فيها ولا فيما بعدها إلى تمام السنة الثامنة والتسعين بعد المائتين والألف ما يحسن ذكره"(٤). وهو يقصد بما "يحسن ذكره" على الأرجح "ما له أهمية". وقد تبنى أحد المحدثين تلك الرواية حين قال: إن الأوضاع كانت هادئة بين سنتي ١٢٩٥ و١٢٩٨هـ "بقدر الإمكان"(٥). ولكنه لم يوضح "إمكان" من، ولعله أراد حسب ما أمكنه هو التحقق منه، فخذلته العبارة.

وانتبه باحث آخر إلى إشارة وردت عند "سالدانا" عن محاولة فاشلة لاسترداد القطيف من العثمانيين حدثت سنة ١٢٩٦هـ/ ١٨٧٩م، وعلق على تلك الإشارة بقوله: "إن هذه الحادثة لم تذكر في مصادر أخرى لتأكيد ما ذهب إليه

---

(٣) أبوعلية، عبدالفتاح، تاريخ الدولة السعودية الثانية ١٢٥٦-١٣٠٩هـ/ ١٨٤٠-١٨٩١م، الرياض: دار المريخ، ١٤١٥هـ، ص٢١٢-٢١٦.

(٤) ابن عيسى، إبراهيم بن صالح، عقد الدرر فيما وقع في نجد من الحوادث في آخر القرن الثالث عشر وأول الرابع عشر، الرياض: الأمانة العامة للاحتفال بمرور مائة عام على تأسيس المملكة، ١٤١٩هـ، ص١٠٥.

(٥) المختار، صلاح الدين، تاريخ المملكة العربية السعودية في ماضيها وحاضرها، بيروت: دار مكتبة الحياة، (د. ت.)، ج١، ص٣٧٩.

سالدانا"(٦). ولو أنه بذل قليلاً من الجهد لوجد ذكرًا للحادثة في مصدرين مشهورين متداولين، هما لوريمر(٧)، وفاسيليف(٨)، على الرغم من اقتضاب المعلومات التي أوردها. كما أن باحثًا آخر أشار إلى الحدث بإيجاز خالطه وهم في تحديد زمنه وهوية القائمين به، لاعتماده في معلوماته على مرجعين ثانويين(٩).

وقد شكل ذلك كله حافزًا أغراني بتحري أخبار تلك الواقعة حيثما وردت فيما يعرض لي من وثائق بريطانية، حتى تجمعت لدي بمرور الأيام معلومات تتعلق بجوانب منها. ولكنها بقيت حبيسة تنتظر اللحظة المناسبة لتدقيقها ومقارنتها، واستخلاص جوهرها. وقد حانت تلك اللحظة حين أتيح لي الاطلاع على مجموعة وثائق محلية معاصرة تلقي المزيد من الأضواء على جوانب أخرى للواقعة. وتتمثل تلك المجموعة في تقارير نصف شهرية دأب نعوم سركيس(١٠)،

---

(٦) القريني، الإدارة العثمانية في متصرفية الأحساء، ص١٨٨.

(٧) لوريمر، ج.ج.، السجل التاريخي للخليج وعمان وأواسط الجزيرة العربية، ترجمة جامعة السلطان قابوس ومركز الشرق الأوسط بكلية سانت أنطوني، ريدنغ: دار غارنت للنشر، ج١ - تاريخ، مج٥، ص٣٣.

(٨) فاسيليف، أ.، تاريخ العربية السعودية، بيروت: شركة المطبوعات للتوزيع والنشر، ١٩٩٥م، ص٢٦١.

(٩) السبيعي، عبدالله بن ناصر، التصدي السعودي للحكم العثماني في الأحساء والقطيف ١٢٨٨-١٣٣١هـ/ ١٨٧١-١٩١٣م (دراسة وثائقية)، (د.م.)، (د.ن.)، ١٩٩٩م، ص١١٩ - ١٢٠.

(١٠) نعوم سركيس: أرمني حلبي الأصل، ولد سنة ١٨٣٠م في بغداد التي هاجر أبوه إليها. التحق بخدمة ناصر باشا السعدون، وغدا من ثقاته وخازنًا لبيت ماله. توفي في بغداد في صفر ١٣١١هـ/ أغسطس ١٨٩٣م.

خازن أموال ناصر باشا السعدون(١١)، وأحد معتمديه في العراق، على إرسالها إلى سيده في منفاه في إسطنبول. وقد حوت تلك التقارير كثيرًا من المعلومات عما جرى في ولاية البصرة، ومن ضمنها ما كان يعرف بسنجق نجد (الأحساء). وأصول هذه الرسائل محفوظة في مكتبة الباحث عمر الراوي في بغداد، وبحوزتي نسخة مصورة منها. فاعتمدتها مع الوثائق البريطانية المنشورة وغير المنشورة لدراسة الحدث بمقارنة معلوماتها، وتبيين أوجه الاختلاف والاتفاق بينها، بما يؤدي إلى إلقاء أضواء على بعض جوانب الحدث التي ظلت معتمة.

بدء الواقعة وتطورها:

تبدأ معلومات سركيس عن تلك الواقعة بداية مشوشة، إذ كتب في الحادي عشر من جمادى الآخرة ١٢٩٥هـ/ الثاني عشر من يونيو ١٨٧٨م، قائلاً: "قبلاً شاع خبر عن قتل النقيب(١٢) بالأحساء مع أتباعه وعبيده وكاتبه، ولكن هذا الخبر ما طلع صحيح"(١٣). وعنصر التشويش في هذا الخبر

---

(١١) هو ناصر بن راشد بن ثامر بن سعدون، أمير المنتفق سنة ١٢٨٣هـ/ ١٨٦٦م، ثم عين متصرفًا للواء المنتفق سنة ١٢٨٦هـ/ ١٨٦٩م، تولى ولاية البصرة سنة ١٢٩٢هـ/ ١٨٧٥م حتى نفيه إلى إسطنبول، وتعيينه هناك عضوًا في مجلس شورى الدولة سنة ١٢٩٥هـ/ ١٨٧٨م حتى وفاته سنة ١٣٠٣هـ/ ١٨٨٥م.

(١٢) النقيب: هو محمد سعيد الرفاعي نقيب أشراف البصرة.

(١٣) رسالة نعوم سركيس إلى ناصر باشا السعدون بتاريخ ١١ جمادى الآخرة ١٢٩٥هـ. وقد تعمدت إيراد النص كما كتبه صاحبه لإشراك القارئ في تلمس روح العصر؛ ولأن لغة النص مزيج من الفصحى واللهجتين المنتفقية والحلبية، لا تغمض غالبًا على ما فيها من أخطاء لغوية وإملائية كثيرة.

نابع من عدم ذكر كاتبه سبب وجود النقيب في الأحساء بعيدًا عن دياره في البصرة. ولعل الكاتب لم يذكر ذلك في تقريره لمعرفته بأن ناصر باشا كان مطلعًا بالفعل على ذهاب النقيب إلى تلك الأنحاء، وهو ما لا يستوجب منه إعادة شرح.

ولكن الفجوة المعلوماتية التي تركها إعراض الكاتب عن ذكر ذلك التفصيل يمكن ردمها -إلى حد ما- من خلال استنطاق تقاريره اللاحقة، التي تشي بأن النقيب كان مكلفًا بمهمة رسمية من قبل السلطات العثمانية استلزمت بقاءه في الأحساء عدة شهور، حيث لم يعد إلى البصرة إلا في أوائل رمضان ١٢٩٥هـ/ سبتمبر ١٨٧٨م. وعلق نعوم على تلك العودة بقوله: "ولا عندنا أخبار كيف عمل بتلك الأطراف وكيف رجع"(١٤). ويستشف من هذه العبارة أن هناك أمرًا محددًا كان ينتظر من النقيب تحقيقه في الأحساء. وتتضح طبيعة ذلك الأمر الذي لم يفصح عنه تقرير سركيس مما أشارت إليه وثائق بريطانية من إجراء مفاوضات بين السلطات العثمانية والسعوديين، انتهت بالفشل قبيل وقوع الأحداث التي نحن بصددها(١٥). وكانت تلك المفاوضات منصبة على إقناع الإمام عبدالله بالتعاون مع العثمانيين بشروطهم.

---

(١٤) رسالة سركيس لناصر باشا في ٥ رمضان ١٢٩٥هـ.

(15) Administration Report of the Persian Gulf Political Residency and Muscat Political Agency for 1878-1879 (hereafter: Administration Report), in The Persian Gulf Administration Reports 1873-1947, Archive Editions, 1986, vol. 1. p6.

ويتعزز افتراض تكليف النقيب بمهمة رسمية في الأحساء من معلومة أخرى أوردها سركيس في تقريره المؤرخ في الثاني والعشرين من شعبان ١٢٩٥هـ/ الحادي والعشرين من أغسطس ١٨٧٨م، وتفيد بأن متصرف نجد حسين بك(١٦) توفي في الأحساء؛ وهو ما اضطر النقيب إلى تأخير عودته من هناك بسبب شغور منصب المتصرفية(١٧)، ولكن هذه المعلومة تثير إشكالاً ظاهريًا لتضاربها مع معلومة أخرى أوردتها وثيقة عثمانية نقل عنها قولها: إن والي البصرة عبدالله باشا(١٨) قد عزل ابن عمه حسين بك عن متصرفية الأحساء تجنبًا للقيل والقال، وأسند المنصب إلى سعيد بك(١٩)، الذي تسلّم مرسوم التعيين في ١٦ شعبان ١٢٩٥هـ/ ١٥ أغسطس ١٨٧٨م(٢٠). ولكن ذلك الإشكال ينحل بمعلومة أخرى وردت في تقرير سابق لسركيس كتبه في الخامس والعشرين من جمادى الآخرة ١٢٩٥هـ/ السادس والعشرين من يونيو ١٨٧٨م، تفيد بأن قرار عزل حسين بك أصدر ذلك

---

(١٦) حسين بك: متصرف الأحساء بين ١٢٩٤-١٢٩٥هـ/ ١٨٧٧-١٨٧٨م.

(١٧) رسالة سركيس لناصر باشا في ٢٢ شعبان ١٢٩٥هـ.

(١٨) عبدالله باشا: والي البصرة بين صفر ١٢٩٥- رمضان ١٢٩٦هـ/ فبراير ١٨٧٨- سبتمبر ١٨٧٩م.

(١٩) سعيد بك: متصرف الأحساء بين ١٢٩٥-١٢٩٨هـ/ ١٨٧٨-١٨٨٠م. قارن بما ورد في القريني، الإدارة العثمانية في متصرفية الأحساء، ص١٧٣.

(٢٠) كورشون، زكريا، العثمانيون وآل سعود في الأرشيف العثماني (١٧٤٥-١٩١٤م)، بيروت: الدار العربية للموسوعات، ٢٠٠٥م، ص٢٢٢.

الحين(٢١)؛ وهو ما يتيح الافتراض بأنه حسب المألوف الإداري ظل يمارس مهام منصبه وكالة، انتظارًا لوصول خلفه الذي تأخر تسلمه مرسوم تعيينه حتى ١٦ شعبان ١٢٩٥هـ/ ١٥ أغسطس ١٨٧٨م، وقد أدركت المنية حسين بك في الأحساء خلال مدة الانتظار.

ويحسن بعد ذلك الاستطراد الضروري العودة إلى ما حدث في الأحساء، إذ توحي وثيقة بريطانية بأن اندلاع أعمال العنف هناك قد بدأ بعيد فشل مفاوضات أجريت بين السلطات العثمانية والإمام عبدالله الفيصل(٢٢)، ويغري هذا الإيحاء بتصور أن قرار اللجوء إلى العنف صدر عن الإمام نفسه، ولكن ذلك التصور لا يجد له سندًا على أرض الواقع يعززه، فالوثيقة البريطانية نفسها تنص على أن أبناء أخيه سعود الفيصل هم الذين قادوا أعمال العنف ضد العثمانيين، أو "أغروا بإعارة أسمائهم لها". ومع ما في هذه العبارة الأخيرة من تشكيك في قيادة أبناء سعود الفعلية للأحداث إلا أن لوريمر ينص على أن قائدي أعمال العنف كانا محمدًا وعبدالرحمن ابني سعود الفيصل(٢٣). ولا يتيسر هنا افتراض أن هذين القائدين كانا يعملان بتنسيق مع عمهما عبدالله، إذ كانت العلاقة سيئة بين الجانبين(٢٤). وعلى هذا تبقى الصلة بين فشل

---

(٢١) رسالة سركيس لناصر باشا في ٢٥ جمادى الآخرة ١٢٩٥هـ.

(22) Administration Report.

(٢٣) لوريمر، السجل التاريخي، ج١ - تاريخ، مج٥، ص٣٣.

(٢٤) للتعرف إلى طبيعة العلاقة بين الإمام عبدالله وأبناء أخيه، راجع: أبو علية، تاريخ الدولة السعودية الثانية، ص٢١٩-٢٢٠.

المفاوضات وبدء أعمال العنف غير مؤكدة باعتبارها صلة سبب ونتيجة، وقد يكون ما حدث مجرد مصادفة زمنية.

وتثور إشكالية أخرى حول التاريخ الدقيق لبدء أعمال العنف، إذ تنص بعض المصادر البريطانية على وقوع الأحداث في "صيف" ١٨٧٨م (١٢٩٥هـ)(٢٥). ولكن المعلومات التفصيلية التي سجلتها وثائق رسمية بريطانية تظهر تسارع أعمال العنف خلال شهر سبتمبر، أي في "خريف" تلك السنة، وتؤكد ذلك أيضًا المعلومات الواردة في تقارير سركيس. ولا يتعذر التوفيق بين الروايتين بافتراض إمكانية بدء أعمال عنف متفرقة خلال أشهر الصيف وتصاعدها تدريجيًا حتى وصولها إلى الذروة خلال الخريف. ويعزز هذا الفرض ما مر من حديث سركيس عن إشاعة مقتل النقيب خلال شهر جمادى الآخرة ١٢٩٥هـ/ يونيو ١٨٧٨م. كما يمكن حل التناقض بالتذكير بحقيقة اتساع مفهوم الصيف في هذه المنطقة، وشموله شهور الخريف كاملة تقريبًا، وهو ما يلغي الفارق الذي تعرفه مناطق أخرى من العالم بين ذينك الفصلين.

وتتضارب معلومات بعض الوثائق البريطانية عن مسار الأحداث مع ما أورده نعوم سركيس في تقاريره؛ إذ تجعل الأولى أكثر نطاق الأحداث محصورًا في ميناء القطيف وما يجاوره من مياه الخليج العربي، بينما تمد الثانية ومعها بعض الوثائق البريطانية ذلك النطاق نحو الداخل. وسيظهر ذلك

---

(٢٥) لوريمر، السجل التاريخي، ج١ - تاريخ، مج٥، ص٣٣؛ Administration Report.

التباين واضحًا عند استعراض مضامين المجموعتين ومقارنتهما بعضهما ببعض. فأما الوثائق البريطانية فقد جاءت أول إشارة لأحداث العنف في تقرير رفعه وكيل الأخبار البريطاني في البحرين إلى المقيم السياسي البريطاني(٢٦) في بوشهر بتاريخ الثامن والعشرين من رمضان ١٢٩٥هـ/ السادس والعشرين من سبتمبر ١٨٧٨م. وجاء فيه تسلُّمه ذلك اليوم أخبارًا تفيد بأن أعرابًا من قبائل عدة تجمعوا حول القطيف وأحدثوا أعمال سلب ونهب وقتل، أدت إلى مقتل أحد عشر شخصًا من سكان القرى المحيطة بالقطيف؛ مما دفع كثيرًا منهم إلى هجر قراهم، واللجوء إلى البلدة؛ طلبًا للسلامة والأمن. وبعد أن وصف الوكيل تفاصيل هجوم جرى على موضع يدعى "التوبي"(٢٧)، أضاف أن أبواب بلدة القطيف أغلقت، وأخذت نيران المدافع والبنادق تطلق من قلعتها على محاصريها البدو. ونقل عن رواته قولهم: إن قلعة القطيف قوية وسكان البلدة حريصون على الدفاع عنها، مما يجعل مهاجميها البدو غير قادرين على اقتحامها. وذكر أيضًا سماعه بوصول مئة جندي حكومي إلى ميناء العقير في طريقهم إلى القطيف لتعزيز دفاعاتها. وبين أن قائمقام القطيف وجه رسالة بيد رسول إلى بوشهر والبصرة تفيد عن تحركات البدو وتصفها بأنها تمرد ضد الحكم العثماني. وختم الوكيل تقريره بقوله:

---

(٢٦) المقيم البريطاني في بوشهر حينئذ هو روس E.C. Ross.

(٢٧) التوبي: قرية بين القطيف وقرية الجارودية. راجع: آل ملا، عبدالرحمن بن عثمان، تاريخ هجر، الأحساء: مكتبة التعاون الثقافي، ١٤١٠هـ، ج ١، ص٢٥٤.

"يقال: إن أبناء سعود بن فيصل موجودون في جودة على مسيرة يومين من القطيف، وهم ينوون مهاجمة القطيف"(٢٨).

ويثير هذا التقرير عدة تساؤلات، أولها عن جهة قدوم نجدة مئة جندي إلى العقير، وما إذا كانت من البصرة أو من الأحساء في الداخل، وهو الأرجح لأن الوقت لم يكن كافيًا لوصول نجدة عن طريق البحر من مقر الولاية في البصرة. وثانيها عن الجهة التي وجهت إليها رسالة القائمقام في بوشهر، إذ لا يعقل أن تكون إلى المقيمية البريطانية هناك، بل هي على الأغلب إلى نائب القنصل العثماني في الميناء، ليتولى إبراقها إلى البصرة(٢٩). والتساؤل الثالث عن سر عدم اليقين في صياغة الوكيل لخبر وجود أبناء سعود الفيصل في جوده. وهو ينسحب على طبيعة علاقتهم بما كان يجري حول القطيف، فحديثه عن "نيتهم" مهاجمة القطيف لا يقطع بأنهم هم الذين أشعلوا فتيل تلك الأحداث، بل لعله يوحي بأنهم

---

(28) Translation of a report from News-Agent, Bahrein, to Lieut.-Col. E. C. Ross, HM's. Political Resident, Bushire, No. 131, dated 28th Rumzan 1295 = 26th September 1878, in Tuson, Penelope, Records of Qatar, Primary Documents 1820 - 1960, Archive Editions, 1991, vol. 2, p605.

(٢٩) كان هناك نائب قنصل عثماني مقيم في بوشهر، راجع: لوريمر، السجل التاريخي، ج٢- جغرافيا، مج٢، ص٧٥. وللتعرف إلى ارتباط بوشهر بميناء الفاو جنوب العراق عن طريق أسلاك البرق، راجع: السعدون، خالد، الاتصالات السلكية واللاسلكية البريطانية في موانئ الخليج العربي: نشوؤها وتطورها ونتائجها ١٨٦٢-١٩٥٩م، مجلة جامعة الشارقة للعلوم الإنسانية والاجتماعية، مج٥، ع١، فبراير ٢٠٠٨م، ص٢٤٥.

أرادوا استغلال ما حدث، فقدموا من نجد إلى جودة؛ للالتحاق بالثائرين وتولي قيادتهم.

وتطرق وكيل الأخبار البريطاني في البحرين في تقرير لاحق إلى موقف عموم سكان المنطقة من الحكم العثماني، فنقل للمقيم السياسي البريطاني في بوشهر ما سمعه عن عدم إخلاص أغلب سكان المنطقة القاطنين في صفوى والعوامية وغيدة(٣٠) وسيهات للعثمانيين؛ إذ لو كانوا مخلصين بالفعل لحالوا دون تدفق البدو على المنطقة مع قلة عددهم الذي لا يتجاوز خمسمئة رجل، فوقع من جراء ذلك عبء مقاومتهم كله على عاتق حامية بلدة القطيف(٣١). ويستشف من هذا الخبر قلة أعداد الثائرين في بداية أمرهم، وهو ما يبين حالة الضعف التي كانت تعانيها الإدارة العثمانية في لواء الأحساء إلى درجة تجعلها عاجزة عن مواجهة تحرك مثل هذا العدد القليل. ويرتبط ذلك الضعف بحال الهزال العام الذي كانت الدولة العثمانية تعانيه عمومًا، فضلاً عما عاناه لواء الأحساء خصوصًا من عدم استقرار إداري، تمثل في كثرة تغيير المتصرفين، وإجلاء القسم الأكبر من القوات الحكومية النظامية عن المنطقة(٣٢)،

---

(٣٠) صفوى: قرية على بعد عشرة أكيال شمال غرب القطيف. والعوامية: قرية كبيرة على بعد أربعة أكيال شمال غرب القطيف. راجع: آل ملا، تاريخ هجر، ص٢٥٥، ٢٥٨. أما "غيدة" فهي قرية اندرست بالقرب من الأوجام.

(31) Extract from News Agent's letter to Lieut.-Col. E.C. Ross, Pol. Res., Bushire, No. 134, dated 29th Rumzan 1295= 27th Sep. 1878, in Records of Qatar, op.cit., vol. 2 .p606.

(٣٢) كورشون، العثمانيون وآل سعود، ص٢٢٢.

وكان ذلك الضعف والهزال هو ما أغرى أولئك الناقمين على الحكم العثماني بالتحرك.

ومع أن ما مر من معلومات الوثائق البريطانية تظهر الأحداث محصورة في القطيف وما حولها إلا أنها نقلت عن وكيل متصرف الأحساء تصويره للأحداث بغير تلك الصورة. فقد أفاد مراجعه العليا في بداية وقوع الأحداث عن تجمع قوة من "السعوديين" قرب الأحساء، انتظارًا لوصول الإمام عبدالله الفيصل نفسه ليتولى قيادتها في الهجوم على المدينة. ولم يلاحظ المقيم السياسي البريطاني في بوشهر تعارض ذلك الخبر مع معلومات وكيله في البحرين، واكتفى بالتعليق بقوله: إن الحاميات العثمانية في الأحساء والقطيف سوف تسحق إن لم تصلها تعزيزات سريعة(٣٣).

ولا يمكن القطع هنا بما إذا كان تحذير وكيل المتصرف حكومته من خطر تلك القوة المحتشدة حول الأحساء يعكس واقعًا فعليًا أو كان مجرد تهويل يستحث به مراجعه العليا على سرعة التحرك لمواجهة مخاطر محتملة قد تحيق به في مركزه النائي، إن تهاونت في نجدته. ولعل نسبة قيادة الحركة إلى الإمام عبدالله الفيصل يدخل في هذا الباب لتصوير الحركة بسعة النطاق. وهي نسبة وجدت تصديقًا فوريًا من مراجعه العليا في بغداد، وانتقل ذلك التصديق عبرها إلى القنصل البريطاني هناك، الذي أبرق في الثاني عشر من نوفمبر ١٨٧٨م (السادس عشر من ذي القعدة

---

(33) IOR, L/P&S/7/1, Telegram from Pol. Res. In the Per. Gulf to For. Sec., Simla, dated 24th Sep. 1878.

١٢٩٥هـ) قاطعًا بأن قيادة الحركة كانت بيد الإمام عبدالله الفيصل حاكم الرياض(٣٤).

وقد ردت ولاية البصرة على استغاثات الأحساء بالقول: إن النجدة قادمة بعد نهاية عطلة إجازة عيد الفطر [كان يومه الأول في التاسع والعشرين من سبتمبر ١٨٧٨م]، حيث سيتحرك من البصرة مركبان يقلان ثلاثة طوابير من الجند(٣٥). ولكن نعوم سركيس شكك في إمكان تنفيذ ذلك الوعد حين كتب في نهاية تلك الإجازة قائلاً: "قبل أسبوع وصلنا تعريف من البصرة(٣٦) يذكرون يوم تاريخ المكتوب وصل ساعي من الأحساء وحكومة الأحساء تذكر لولاية البصرة أن عبدالله السعود محاصر الأحساء(٣٧)، وطالبين

---

(34) Tel. from Nixon, Baghdad, to For. Sec., Simla, dated 12th Nov. 1878, in Records of Qatar, op.cit., vol. 2, p607.

(35) Extract from News Agent's letter... dated 27th Sep. 1878, in Records of Qatar, op.cit., vol. 2, p606.

(٣٦) استقر سركيس في بغداد بعد مغادرة ناصر باشا البصرة إلى إسطنبول في سنة ١٢٩٤هـ/ ١٨٧٧م.

(٣٧) حيث إن تقرير سركيس مؤرخ في الثاني من أكتوبر ١٨٧٨م، فيرجح أن تاريخ تسلمه تلك الرسالة من البصرة هو الخامس والعشرون من سبتمبر. وحيث إن وصول رسالة من البصرة إلى بغداد بالباخرة النهرية كان يستغرق خمسة أيام في المتوسط، فيرجح أن يكون تاريخ علم ولاية البصرة باندلاع أحداث الأحساء في حدود العشرين من سبتمبر، أي أن اشتداد تلك الأحداث واتخاذها منحى واسعًا جاء في غضون تلك الأيام، بينما كانت المقدمات تجري على الأرض قبل ذلك بشهور. ويلفت النظر إلى أن سركيس في تقريره هذا جعل علم الولاية ناتجًا عن وصول "ساعي" من الأحساء وليس عن طريق برقية من بوشهر كما افترض سابقا. كما أن حديثه عن حصار الإمام عبدالله للأحساء يدل على أن الساعي حمل تقرير وكيل متصرف الأحساء الذي أشار إليه المقيم السياسي البريطاني حسبما مر آنفا.

إرسال عسكر ومركبين، وحسبما نعهد أن حضرة مشير باشا(٣٨) ما هو زين مع عبدالله باشا لأجل ذلك ما يساعده بإرسال عساكر وخصوصًا ببغداد ما يوجد عسكر كثير كافي إلى محافظة بغداد وهذه حجة كافية إلى حضرة المشير، ونهار أمس بلغنا أن طلبوا عسكر من أوربا من الذي بلجهاد(٣٩) ولا نعلم يرسلون أم لا وإن إنرسل عسكر متى يوصل الأحساء وحسب البابن عبدالله السعود بلحاظر يتولا الأحساء وينال مراده"(٤٠). وما أشار إليه نعوم سركيس من خلاف بين المشير والوالي لم يكن أمرًا استثنائيًا حينئذ، بل كان ظاهرة مألوفة في واقع الإدارة العثمانية سببت المزيد من العرقلة لعمل السلطات الحكومية، وهو ما حد من أثرها(٤١).

ولكن توقعات سركيس تلك ثبت لاحقًا أنها كانت مسرفة في تشاؤمها. فقد عاد هو نفسه بعد أسبوعين للحديث عما فعلته قيادة الجيش في بغداد لمواجهة الوضع في الأحساء. إذ كتب في الثامن عشر من شوال ١٢٩٥هـ/ السادس عشر من أكتوبر ١٨٧٨م: "عبدالله [الفيصل] ومعه كافة السعود

---

(٣٨) يقصد قائد الجيش العثماني السادس ومقره بغداد، وكان حينئذ المشير حسين فوزي باشا (١٨٧٧-١٨٨٠م)، راجع: النجار، جميل موسى، الإدارة العثمانية في ولاية بغداد، بغداد: دار الشؤون الثقافية العامة، ٢٠٠١م، ص٤٣٩.

(٣٩) يقصد الحرب الروسية - العثمانية (١٢٩٤-١٢٩٥هـ/ ١٨٧٧-١٨٧٨م).

(٤٠) رسالة سركيس لناصر باشا في ٤ شوال ١٢٩٥هـ.

(٤١) السعدون، خالد، الأوضاع القبلية في ولاية البصرة ١٩٠٨-١٩١٨م، بيروت: الدار العربية للموسوعات، ٢٠٠٦م، ص٧٤، ٨٠، ١٠٥.

وبرفقته مقدار عشر ألف من العرب أخذوا قلعة الدمام وولوا(٤٢) القطيف ومرادهم إذا جاهم عسكر من طرفنا يقطعون عنه طريق الأحساء. بموجب الأخبار الشايعه أن عسكر الذي بالأحساء والمأمورين محاصرين في أحد القلاع المحصنة والأعداء مع أغلب الأهالي محيطين على القلعه الذي بها العسكر والمأمورين. في أسبوع الماضي توجه من طرفنا بالمراكب مقدار ألف وخمسمائة عسكرلي ومن الديوانية(٤٣) مقدار خمسمائة مجمول نحو ألفين والقومندانيه(٤٤) محمد باشا اللوا الذي كان قبلا توجه بمعية دولتكم(٤٥) ومعه سعيد بك المعلوم(٤٦). وقبل يومين ورد طابور عسكر الذي كانو بالمحاربة(٤٧) يبقى في بغداد"(٤٨).

وبيّن سركيس في تقريره اللاحق الذي أرسله بعد أسبوعين أن تلك القوات التي حشدت في البصرة تمهيدًا لإرسالها إلى الأحساء لم تكن قد أرسلت بعد إلى وجهتها،

---

(٤٢) وولوا: كلمة عامية تعني "غلبوا"، ولا يتضح من استخدامها هنا هل المقصود هو "اقتحموا" أو "حاصروا".

(٤٣) الديوانية: مدينة تقع على نهر الفرات جنوب بغداد بنحو مائتي كيل، وهي مركز محافظة حاليًا.

(٤٤) يقصد القيادة.

(٤٥) يقصد توجه اللواء محمد باشا بمعية ناصر باشا إلى الأحساء لقمع تمرد سنة ١٢٩١هـ/ ١٨٧٤م.

(٤٦) المعين متصرفًا للواء نجد كما مر سابقًا.

(٤٧) يقصد من القوات التي كانت في جبهة القتال مع روسيا كي تكون بديلاً للقوات المرسلة من بغداد إلى الأحساء.

(٤٨) رسالة سركيس لناصر باشا في ١٨ شوال ١٢٩٥هـ.

ولكن أخبار تحشيدها عادت مع ذلك بنتيجة إيجابية. إذ كتب قائلاً: "حركة فساد(٤٩) الأحساء بهذه الأيام صارة أهون من قبل، وحسبما بلغنا لما أهل الفساد بلغهم خبر حركة العسكر من بغداد رجعوا إلى ورا والعسكر لا زال موجود بالبصرة، وبعده ما نعرف كيف صار"(٥٠). ويبرز في رواية سركيس هذه عدم الدقة في تحديد تحركات قوات الإمام عبدالله، فكلمة "ورا" مطاطة لا تبين مقدار التراجع الحاصل.

كما يلفت النظر في هذه الرواية تباين تفاصيلها مع ما ورد في الوثائق البريطانية التي لم تذكر أي شيء عن تحرك الإمام عبدالله الفيصل على رأس تلك القوة الضخمة وسيطرته على قلعة الدمام وإحاطته بالقطيف ومحاصرته المسؤولين الحكوميين العثمانيين في إحدى قلاع الأحساء. كما تباينت معلومات هذه الوثائق مع معلومات سركيس عن تحركات القوات الحكومية المنجدة للأحساء وأعدادها. فقد ذكر القنصل البريطاني في بغداد في الخامس عشر من نوفمبر ١٨٧٨م (العشرين من ذي القعدة ١٢٩٥هـ) أن عدد القوات التي أرسلت إلى الميدان بلغ ألفًا ومئتي جندي مشاة فقط، وأن تلك القوة غدت بعيد وصولها محاصرة في القطيف وتحتاج إلى مزيد من التعزيزات(٥١). ويبدو أن هذا الواقع

---

(٤٩) كان مصطلح "الفساد" في لغة ذلك العصر يعني "التمرد" أو "العصيان".

(٥٠) رسالة سركيس إلى ناصر باشا في ٣ ذي القعدة ١٢٩٥هـ.

(51) Tel. from Nixon, Baghdad, to For. Sec., Simla, dated 15th Nov. 1878, in Records of Qatar, op.cit., vol. 2, p608.

مثل انتكاسة لعمل تلك القوة على الأرض بعد أن حققت نتائج جيدة في البداية. إذ ذكر نائب القنصل البريطاني في البصرة في السابع من نوفمبر ١٨٧٨م (الثاني عشر من ذي القعدة ١٢٩٥هـ) أن السفينة الحربية العثمانية "بورصة" عادت إلى البصرة من القطيف في الرابع من نوفمبر بعد أن أنزلت القوات المرسلة إلى الأحساء في ميناء رأس تنورة. وأضاف أن القوات تعرضت بعد إنزالها من تلك السفينة لهجوم البدو، ولكنها استطاعت تشتيت المهاجمين بسهولة. وبين أن السفينة ذاتها ستعود إلى القطيف خلال بضعة أيام حاملة كتيبة مشاة أخرى(٥٢).

وقد أكد المقيم السياسي البريطاني في بوشهر في الثاني والعشرين من نوفمبر ١٨٧٨م (السابع والعشرين من ذي القعدة ١٢٩٥هـ) ما ذكره نائب القنصل آنفًا عن فاعلية القوات العثمانية في الأحساء، وأبرز نجاح عملياتها في صد المهاجمين(٥٣)، ولكن رواية سركيس تظهر تحركات تلك القوات وكأنها في مرحلة الاستطلاع الأولي قبل خوض النزال. فقد كتب في السابع عشر من ذي القعدة ١٢٩٥هـ/ الثالث عشر من نوفمبر ١٨٧٨م قائلاً: "الأحساء كما عرضنا في بوستة(٥٤)

---

(52) No.113, P. Robertson, Vice-Consul, Busrah, to Lieut.- col. E.C. Ross, H.B.M's. Pol. Res. In the Per. Gulf, dated 7th Nov. 1878, in Records of Qatar, op. cit., vol. 2, p606.

(53) Tel. from Resident, Bushire, to For. Sec., Lahore, dated 22nd Nov. 1878, in Records of Qatar, op.cit., vol. 2, p608.

(٥٤) يقصد البريد.

الماضية ولأجل التحقيق توجه سعيد بك إلى القطيف ومعه طابور عسكر وما نعرف كيف يصير والعسكر الذي توجه من بغداد والحلة(٥٥) والديوانية لا زال في البصرة نازل في الدوب"(٥٦).

ومضى سركيس بعد أسبوعين قدمًا في تصوير الوضع في الأحساء وكأنه يتجه نحو مزيد من التدهور لعجز القوات الحكومية عن احتواء التمرد؛ إذ كتب في الثاني من ذي الحجة ١٢٩٥هـ/ السابع والعشرين من نوفمبر ١٨٧٨م: "الأحساء والقطيف أيضًا رجع الفساد كما عرضنا سابق وعساكر الذي كانو بالبصره توجهوا إلى تلك الأطراف والباين العسكر لا يعمل شي لأن أهل الفساد كثيرين خصوصا عربان الذي قريب القطيف"(٥٧). وكانت هذه هي المرة الأولى التي يبرز فيها سركيس في تقاريره إسهام قبائل المنطقة المحيطة بالقطيف بالأحداث إسهامًا كبيرًا. وهي الحقيقة التي أكدتها قبله الوثائق البريطانية مرارًا.

وأكد سركيس في تقرير لاحق كتب بعد أسبوعين وصول جميع التعزيزات المرسلة من البصرة إلى الأحساء وبين أنشطتها هناك، فكتب: "عساكر الذي كانو بالبصره جميعهم

---

(٥٥) الحلة: مدينة على الفرات جنوب بغداد على بعد أقل من مئة كيل، وهي مركز محافظة.

(٥٦) رسالة سركيس لناصر باشا في ١٧ ذي القعدة ١٢٩٥هـ. والدوب هي جنائب (barges) تقطرها عادة باخرة أو قارب بخاري (tug).

(٥٧) رسالة سركيس لناصر باشا في ٢ ذي الحجة ١٢٩٥هـ.

وصلو القطيف ولا عندهم رحله(٥٨) لكي يتوجهون إلى الأحساء ومحمد الفيصل(٥٩) موجود بالطريق مع أعوانه وبموجب القول عبدالله الفيصل مع أعوانه قريب يوصلون الأحساء"(٦٠). وغفل سركيس وهو يورد هذه المعلومة الأخيرة عن تناقضها مع ما جاء في تقريره السابق المؤرخ في الثامن عشر من شوال ١٢٩٥هـ/ السادس عشر من أكتوبر ١٨٧٨م عن قيادة الإمام عبدالله الفيصل للقوات بنفسه واستيلائه على قلعة الدمام وإحاطته بالقطيف. وذلك التناقض عائد بالتأكيد إلى تدوينه ما يصله من أخبار الأحساء أولا بأول حسبما ينقلها له الرواة، حرصًا على إيصالها بسرعة إلى سيده؛ وهو ما لا يتيح له وقتًا كافيًا لتدقيقها ومقارنتها بالروايات اللاحقة.

وقد تبددت توقعات سركيس عن قرب وصول الإمام عبدالله الفيصل إلى الأحساء، إذ كتب في الأول من المحرم ١٢٩٦هـ/ السادس والعشرين من ديسمبر ١٨٧٨م قائلا: "الأحساء أحوالها أهون من قبل ويذكرون أن العربان ترفعو(٦١) عنها والعسكر لا زال في القطيف"(٦٢). وواصل في تقرير كتبه بعد أربعة أسابيع ملاحظة تحسن الأوضاع، فقال:

---

(٥٨) يقصد رواحل.

(٥٩) هو محمد بن سعود الفيصل، حسب الوثائق البريطانية، وليس عمه محمد بن فيصل.

(٦٠) رسالة سركيس إلى ناصر باشا في ١٦ ذي الحجة ١٢٩٥هـ.

(٦١) ترفعوا: أي ابتعدوا.

(٦٢) رسالة سركيس إلى ناصر باشا في ١ محرم ١٢٩٦هـ.

"الأحسا من أيام ساكنه وأهل الفساد ابتعدوا من تلك الأطراف وصالح بك أركان حرب رجع من الأحسا ومعه مقدار عسكر الذي كان بالأحسا وعملوه بجايش"(٦٣). وبقي سركيس بعد ذلك يرصد الوضع في الأحساء وينقل أخباره إلى سيده، فكتب في الثالث عشر من صفر ١٢٩٦هـ/ الخامس من فبراير ١٨٧٩م قائلا: "أخبار الأحسا بهذه الأيام ساكنه والأهالي مستقرين"(٦٤).

وكان ذلك الاستقرار - حسب مصدر بريطاني - وليد يأس قائد التمرد من إمكانية مواصلة نزاله القوات العثمانية؛ وهو ما جعله ينسحب من الميدان في ديسمبر ١٨٧٨م (ذي الحجة ١٢٩٥هـ)، ويعبر البحر مع ستين من أتباعه إلى البحرين، فاستقبلهم حاكمها؛ وهذا ما جعل السلطات البريطانية تحذره من إظهار العطف على قضية القوات السعودية(٦٥). ولم يحدد هذا المصدر اسم ذلك القائد من بين اسمي محمد وعبدالرحمن ابني سعود الفيصل، اللذين نسب إليهما قيادة الحركة سابقًا. وقد أغفلت تقارير سركيس والمصادر البريطانية ما ذكر عن استعانة السلطات العثمانية بأمير الكويت الشيخ عبدالله ابن صباح على مواجهة التمرد في الأحساء؛ وهو ما جعله يرسل ألف رجل من قواته إلى

---

(٦٣) رسالة سركيس لناصر باشا في ٢٩ محرم ١٢٩٦هـ. و "بجايش" حسب المصطلح الإداري العثماني تعني تبادل موقع العمل بين زميلين.

(٦٤) رسالة سركيس إلى ناصر باشا في ١٣ صفر ١٢٩٦هـ.

(٦٥) لوريمر، السجل التاريخي، ج١ - تاريخ، مج٥، ص٣٣.

الميدان(٦٦). ويبدو ذلك الإغفال مستغربًا؛ لأن التقارير البريطانية كانت تتابع مجرى الحوادث أولاً بأول، فلا يحتمل سهوها عن ذكر خبر مثل تحرك تلك القوة من الكويت إلى ميدان الأحداث.

ولعل من الضروري إتمامًا للصورة محاولة التعرف إلى الموقف البريطاني من الأحداث التي جرت في الأحساء المطلة على مياه الخليج العربي، حيث التفوق الملاحي والتجاري البريطاني المدعوم بسياسة بريطانية راسخة لتأمين السلام في تلك المياه منذ نجاحها في فرض الهدنة البحرية الدائمة سنة ١٨٥٣م. فكان من الطبيعي أن يكون لبريطانيا موقف من تلك الأحداث، وحتم ذلك استغلال بعض من تسميهم الوثائق البريطانية "قراصنة Freebooters" فرصة الاضطراب العام في المنطقة لشنّ غارات على بعض مواضع الساحل الممتد بين القطيف والبدع في شبه جزيرة قطر، وعلى بعض السفن المبحرة قريبًا منه. وقد ألقت السلطات البريطانية مسؤولية تلك الهجمات بصورة رئيسة على قبيلة بني هاجر التي اتخذ بعض أفرادها من الظهران ودارين وغيرهما من الأماكن القريبة من القطيف قواعد لشن هجماتهم. وكان أكثرهم جرأة وإقداما على شنّ تلك الهجمات زايد بن محمد بن زايد، حتى إنه عبر الخليج بقارب منهوب وحط

---

(٦٦) كورشون، العثمانيون وآل سعود، ص٢٢٢. وقد نسب السبيعي إلى وثيقة عثمانية صدور إرادة سلطانية بتكريم الشيخ عبدالله الصباح وأخيه مبارك على دورهما "الكبير" في قمع تلك الاضطرابات. راجع: السبيعي، التصدي السعودي، ص١٢٠.

ركابه في جزيرة قيس (كيش) الفارسية لشن عمليات غزو هناك(٦٧).

ولم تقتصر تلك الأنشطة على قبيلة بني هاجر، بل أسهمت فيها قبائل أخرى، مثل العماير والصبيح(٦٨) كانت تهاجم على شكل مجاميع كبيرة. فقد وصلت إلى البحرين أخبار في أواخر رمضان ١٢٩٥هـ/ سبتمبر ١٨٧٨م تفيد بأن ثلاثين مركبًا محملة بقراصنة من العماير والصبيح أبحرت من "عنك" وألقت مراسيها في ميناء تاروت لمهاجمة بعض أحيائه(٦٩). ولم يكن ذلك حادثًا منعزلا؛ فقد أعد المقيم السياسي البريطاني في الخليج العربي كشفًا تضمن خمس حالات مشابهة جرت خلال الأيام العشرة السابقة للهجوم على تاروت، وجرت جميعها في المياه الإقليمية العثمانية المحاذية لساحل الأحساء(٧٠).

وقد طالت بعض تلك الهجمات مراكب بحرينية، وهو ما ألحق بها وبحمولاتها خسائر فادحة جعلت مالكيها يرفعون

---

(67) Administration Report.

(٦٨) العماير والصبيح: من فروع قبيلة بني خالد، راجع: الوهبي، عبدالكريم بن عبدالله، بنو خالد وعلاقتهم بنجد، الرياض: دار ثقيف للنشر، ١٤١٠هـ، ص٨١-٨٣.

(69) Extract from News-Agent, Bahrein's Report No. 134, dated 29th Rumzan 1295 = 27th Sep. 1878.

(70) No. 216, from Lieu.-Col. E.C. Ross, H.B.M's. Pol. Res. In the Per. Gulf to A.C. Lyall, Sec. to the Gov. of Ind., For. Dept., dated 2nd Oct. 1878, in Records of Qatar, op.cit., vol. 2, p. 602.

شكاواهم للسلطات البريطانية(٧١) باعتبارها المهيمنة على الشأن البحريني فعليًا، والمسؤولة عن تطبيق معاهدة الهدنة البحرية الدائمة. وكانت تلك السلطات تتجاوب مع شكاواهم، وتقدم إثر كل حادث يتعرضون له احتجاجًا إلى الحكومة العثمانية، باعتبار أن تلك الهجمات يشنها رعايا عثمانيون انطلاقًا من قواعد في الأراضي العثمانية يعودون إليها محملين بغنائمهم فيبيعونها هناك(٧٢). ولم يكتفِ أولئك المهاجمون بنهب حمولات المراكب المبحرة وسلب ممتلكات راكبيها؛ بل كانوا يصادرون المراكب ذاتها لاستخدامها في مطاردة المراكب الأخرى المبحرة في المنطقة(٧٣).

ومع أن تلك الهجمات ألحقت أضرارًا برعايا موانئ أخرى غير البحرين، مثل رأس الخيمة ولنجه(٧٤)، إلا أنها استهدفت البحرينيين أكثر من سواهم، حتى إن زعيم بني هاجر زايد بن محمد بن زايد كان يسأل ركاب المركب الذي يعترضه عما إذا

---

(71) Administration Report.

(72) From Ibrahim Bin Yoosuf, Bahrein, to Resident, Bushire, dated 29th Rumazan 1295 = 27th Sep. 1878 and 30th Rumazan 1295 = 28th Sep. 1878, in Records of Qatar, op.cit., vol. 2, p603.

(73) Translated purport of a letter from Ahmed Bin Khamees Zayanee, Bahrein subject, to Resident, Bushire, dated 29th Rumzan 1295 = 27th Sep. 1878, in Records of Qatar, op.cit., vol. 2, p605.

(74) Translated purport of a letter from News-Agent, Bahrein, to Resident, Bushire, No. 136, dated 30th Rumzan 1295 = 28th Sep. 1878, in Records of Qatar, op.cit., vol. 2, p604.

كانوا بحرينيين، فإن كانوا كذلك احتجزهم، وإلا أطلق سراحهم(٧٥). وينبع ذلك التمييز من حالة الخلاف الذي كان قائمًا بين حكام البحرين وجاسم بن محمد آل ثاني حاكم قطر. فقد التزم بنو هاجر جانب الشيخ جاسم وشكلوا معه حلفًا ضد البحرين ضم أيضًا بعض المنشقين من آل خليفة على أبناء عمومتهم. وقد وصلت إلى البحرين معلومات في منتصف شهر نوفمبر ١٨٧٨م (التاسع عشر من ذي القعدة ١٢٩٥هـ) تفيد بأن قوات ذلك الحلف قد هاجمت ميناء الزبارة التابع لآل خليفة في البر القطري. فأشاعت تلك الأخبار حالة من الذعر بين جميع السكان في البحرين خوفًا من امتداد الهجوم إلى ديارهم ذاتها. ولمواجهة ذلك الوضع استأذن المقيم السياسي البريطاني في بوشهر حكومته بالتوجه على ظهر سفينة حربية إلى البحرين(٧٦).

وقد أقرت حكومة الهند عزم المقيم ووجهته للقيام بكل ما من شأنه حماية البحرين والإيفاء بالالتزامات البريطانية تجاهها، والتحقق من الوضع القائم على الأرض في الزبارة. وخولته صلاحية العمل على حفظ السلام البحري في الخليج، شرط عدم الدخول في عمليات تجري على البر(٧٧).

---

(75) Translation of a letter from the News-Agent, Bahrein, to Pol. Res., Per. Gulf, No. 135, dated 30th Rumzan 1295 = 28th Sep. 1878, in Records of Qatar, op. cit., vol. 2, p604..

(76) Tel from Resident, Bushire, to For. Sec., Simla, dated 15th Nov. 1878, in Records of Qatar, op.cit., p607.

(77) Tel. No. 2649 P, from For. Sec., Simla, to Resident, Bushire,dated 17th Nov. 1878, in Records of Qatar, op.cit., vol. 2, p608.

فزار المقيم على إثر ذلك البحرين والزبارة، حيث تأكد من قيام الشيخ جاسم آل ثاني وحلفائه بمهاجمة الزبارة وتدمير قسم من منازلها تدميرًا تامًا، بينما لجأ سكانها من قبيلة النعيم إلى قلعة نائية تدعى "المرير Moreyr" فتحصنوا بها. وبرر المهاجمون عملهم بكونه ردًا انتقاميًا على غزوات سابقة للنعيم على البدع قاعدة الشيخ جاسم. وقد أكد الشيخ جاسم للمقيم عدم اعتزامه شخصيًا الهجوم على البحرين، ولكنه لا يستطيع التعهد بذلك نيابة عن الآخرين غير الخاضعين لسلطته. وذكر المقيم في تقريره عن رحلته أن والي البصرة أمر مرؤوسيه في القطيف بإرسال قارب مدفعية إلى شبه جزيرة قطر؛ للتحذير من الهجوم على البحرين. وختم المقيم تقريره المؤرخ في الثاني والعشرين من نوفمبر ١٨٧٨م (السابع والعشرين من ذي القعدة ١٢٩٥هـ) بالقول: إن التمرد ضد العثمانيين في المنطقة يبدو منتهيًا بشكل جلي(٧٨).

ومن المرجح أن أنشطة الشيخ جاسم وحلفائه لم تكن متصلة اتصالا مباشرًا بأحداث ذلك التمرد، ولكنها استغلت جو الاضطراب العام في المنطقة ستارًا لتصفية الحساب مع البحرين، التي تؤكد وثيقة بريطانية صلتها هي الأخرى بأحداث " القرصنة " في مياه الخليج التي تزامنت مع أحداث التمرد ضد العثمانيين؛ إذ شنت الغارات على مراكب قطر المبحرة في مياه الخليج بموافقة من حاكم الزبارة التابع

---

(78) Tel. from Resident, Bushire, to For. Sect., Lahore, dated 22nd Nov. 1878, in Records of Qatar, op.cit., vol. 2, p. 608.

للبحرين(٧٩). ويظهر ذلك أن الوضع المضطرب في ساحل الأحساء وما يحاذيه من مياه البحر أتاح للأطراف كافة في المنطقة فرصة التحرك لتصفية حساباتها مع خصومها المحليين، متخففة من القيود البريطانية على الأنشطة البحرية الحربية.

ولم تكن السلطات البريطانية راضية بذلك الوضع وحاولت معالجته مع السلطات العثمانية، فتوجه المقيم السياسي البريطاني في الخليج العربي إلى البصرة، واجتمع بواليها عبدالله باشا في الرابع من نوفمبر ١٨٧٨م (الثامن من ذي القعدة ١٢٩٥هـ)، وحثه على التحرك الجاد لمواجهة الوضع المتدهور في المياه الإقليمية العثمانية. وقدم المقيم لمراجعه العليا تقريرًا عن مباحثاته مع الوالي ختمه بقوله: "يبدو أغلب المطلعين موافقين على أن الشخص الوحيد القادر على إبقاء لواء نجد في حالة من النظام الجيد والاستكانة للحكومة التركية هو ناصر باشا المنتفقي الموجود حاليًا في إسطنبول..."(٨٠).

وبعد يومين اجتمع نائب القنصل البريطاني في البصرة مع الوالي وسلمه كشفًا أعدته حكومته عن الأعمال التي ارتكبتها قبيلة بني هاجر حول القطيف. وأظهر الوالي خلال المحادثة حرصه على قمع القرصنة قرب ساحل نجد، ولكنه أوضح التزامه أولا بوضع نهاية للاضطراب السياسي في ذلك

---

(79) Administration Report.

(80) IOR, L/P&S/7/1, No. 245 of 1878, Lieu.- Col. E.C. Ross to the Sec. to the Gov. of Ind., For. Dept., dated 4th Nov. 1878.

اللواء. وأضاف أن أعمال القرصنة تبدو له جزءًا من حركة التمرد؛ ولذلك فإنه يأمل بأنهما سوف تنتهيان معًا. وبين الوالي عزمه على زيارة لواء نجد بعد شهرين، حيث سيضع حاميات من القوات الحكومية في جميع القرى الواقعة على الساحل، فضلاً عن تخصيص سفينة حربية للمرابطة الدائمة مقابل رأس تنورة وللطواف حول ساحل نجد. وذكر أنه طلب من حكومته توفير السفينة الملائمة لتلك المهمة. وختم الوالي وعوده بالقول إن حاميتي القطيف والأحساء سوف تضمان خمسمئة دركي وألف جندي مشاة نظامي، على التوالي(٨١).

ومع ذلك كله انتقد المقيم السياسي البريطاني في الخليج ما اتخذته السلطات العثمانية من إجراءات لقمع أعمال القرصنة ومعاقبة مرتكبيها، فذكر أن الحملات التأديبية أسيء توجيهها فانصبت على حفنة من صيادي السمك العزل في "الحصين El-Hasein"(٨٢)، تكفيرًا عن آثام ارتكبها غيرهم؛ بل استمروا ينعمون بالحصانة، ويتمتعون بثمرات أعمالهم إذ لم يُستَعد شيء من الممتلكات التي نهبوها. وبين المقيم اشتراك السفينة الحربية البريطانية "فولتشر Vulture" في عمليات قمع القرصنة، حيث كان لها إسهام ممتاز في ذلك المجال؛ إذ قبضت على أسطول من مراكب قبيلة العماير، واستعادت بذلك مراكب بحرينية كانت قد نهبت. ونسب

---

(81) No. 113, dated 7th Nov. 1878, in Records of Qatar, op. cit., vol. 2, p. 606.

(٨٢) لم أفلح في تحقيق "الحصين".

المقيم لأعمال تلك السفينة دورًا في المشاركة في قمع حركة التمرد التي واجهت الإدارة العثمانية في المنطقة(٨٣).

الخاتمة:

أظهر البحث أن ساحل الأحساء شهد أحداث مواجهات استمرت عدة شهور سنة ١٢٩٥هـ/ ١٨٧٨م، وغفلت المصادر المحلية عن متابعتها وتدوينها. وتتسم المعلومات التي توفرها المصادر البريطانية والعراقية عن تلك الأحداث بشيء من التضارب يجعل صورة الوضع مشوشة غير واضحة في بعض زواياها. ولكن ثمة حقائق تظهر واضحة في ثنايا ذلك التشويش، منها تركز أحداث المواجهات حول القطيف بصورة رئيسة، وقيام اثنين من أبناء الإمام سعود بن فيصل بدور فاعل في تلك الأحداث بعيد اندلاعها على أيدي قبائل محلية ساخطة على الحكم العثماني، وامتداد الأحداث إلى مياه الخليج العربي؛ وهو ما دفع بريطانيا للتدخل في الأمر والإسهام بقمع العنف في شطره البحري. ويبقى الموضوع بعد ذلك كله بحاجة إلى باحث ينقب في أكداس الوثائق العثمانية، ليستخرج منها كثيرًا من المعلومات التي تجلو الصورة وتبدد بعض الغموض المحيط بتفاصيلها.

---

(83) Administration Report.